ورقة دي ميستورا: محاولة لتعويم «جنيف ـ 1» على حساب تفاهمات فيينا

■ حميدي العبدالله

الورقة التي قدّمها المبعوث الأممي ستيفان دي ميستورا إلى وفد الجمهورية العربية السورية، والمؤلفة من 12 بنداً تتضمّن في بنودها الرئيسية، ولا سيما التي تتعلق بالشأن الداخلي السوري، محاولة لإعادة تعويم وبعث ما جاء في جنيف (1) على حساب تفاهمات فيينا التي حدّدت ماهية الحلّ السياسي والأسُس التي يجب أن يرتكز إليها.

وواضح أنّ هذه الورقة هي محاولة لبعث ما رفضته سورية وروسيا وإيران منذ عام 2012 وحتى الآن وهو الأمر الذي تسبب باستمرار القتال على هذا النحو الكبير والكارثي حتى الآن والذي قاد إلى استفحال خطر الإرهاب، وتزايد عدد اللاجئين السوريين، بما ينطوي عليه هذا الملف من مسائل إنسانية وسياسية كثيرة.

المبعوث الأممي يخالف عبر ورقته حتى بعض بنود جنيف (1)، فجنيف واحد نصّ على عملية سياسية بقيادة سورية وحوار سوري ـ سوري، لكنه انتدب نفسه بدلاً من الأطراف السورية وقدم اقتراحات تحدّد ماهية الحلّ، في حين أنّ ماهية الحلّ يجب أن تكون من صنع السوريين أنفسهم من دون أي تدخل خارجي ومن أي جهة كانت بما في ذلك الأمم المتحدة.

دور الأمم المتحدة الميسِّر للحوار السوري ـ السوري لا يعني بأي حال من الأحوال أن يُنصِّب المبعوث الدولي نفسه بديلاً، وإذا ما أصرّ على ذلك فإنّ محاولاته ستبوء بالفشل كما فشل سابقاه كوفي أنان والأخضر الإبراهيمي وكما فشل مبعوث الأمم المتحدة في ليبيا الذي حاول أن يفرض اقتراحات وحلول بمعزل عن توافق الأطراف الفاعلة وكانت النتيجة أنّ هذه الأطراف لم تقبل التعاون معه، وفشل جهود الأمم المتحدة في ليبيا، والأمر ذاته في اليمن عندما حاول المبعوث الدولي السير على خطى المبعوثين في سورية وليبيا واغتصاب حقوق شعوب هذه الدول في تقرير مصيرها بنفسها باءت مساعيه بالفشل وبدلاً من أن يسهل الوصول إلى الحلول أدت مداخلته إلى تفاقم الصراع، وإذا كان من حلّ في اليمن فهو نتيجة لتفاهم أطراف الصراع وليس نتيجة لمساعي المبعوث الأممي.

على أية حال، ورقة دي مستورا تعبر عن وجهة نظره، وفي أحسن الأحوال وجهة نظر الأمانة العامة للأمم المتحدة، لكنها لا تستطيع إلغاء تفاهمات فيينا وقرار مجلس الأمن الدولي 2254 وهذا القرار وهذه التفاهمات وحدهما سيشكلان الأساس الصالح والملزم لحلّ الأزمة في سورية، وماعدا ذلك بما فيها ورقة دي ميستورا مصيرها إما الإهمال وإما إعادة النظر فيها.

جماعة الرياض والضربة القاضية

ـ لا تخفي جماعة الرياض حجم اعتمادها، في حضورها السياسي، على الدعم الخارجي وهي تعلم أنّ أساس هذا الدعم يتوقف على النظرة الأميركية المصلحية إلى هذه الجماعة.

ـ تعرف الجماعة أنّ تمسُّك السعودية وتركيا يبقى ظرفياً بانتظار وجود قناعة أميركية بالحاجة إلى هذه الجماعة.

ـ لا تسمح واشنطن لحلفائها بإدارة الحرب في سورية إلا وفقاً لتكليفها وحساباتها ومصالحها.

ـ تمنح واشنطن حلفاءها بعض الهوامش قبل اتخاذ القرارات الكبرى.

ـ تدرك جماعة الرياض أن لا تدخل عسكرياً أميركياً ولا لحلفائها ولا تسليح ضدّ الجيش السوري وروسيا بسلاح فعال.

ـ تدرك الجماعة أنّ الحرب على الإرهاب، خصوصاً «داعش» تصير تدريجياً عنوان المداخلة الأميركية بالتفاهم مع روسيا وبالتالي تبرير القبول الأميركي بالتخلّي عن شعار إسقاط النظام أو الرئيس في سورية.

ـ في الحرب على «داعش» كان الحلم الأميركي أن تكون جماعة الرياض تملك جسماً مقاتلاً قادراً على المهمّة لتقاسم الدولة السورية عائدات هذه الحرب.

ـ في تدمر حُسم كلّ شيء وتلقت جماعة الرياض الضربة القاضية وسلّم الأميركي بأنّ العمود الفقري للحرب على «داعش» هو الجيش السوري.

التعليق السياسي

الإيقاع في تدمر يضبط الخطى في جنيف!

■ محمد ح. الحاج

أن يتمّ تحرير تدمر من «داعش» أمر يبعث على الفرح في نفوس أهلها ونفوس السوريين عامة وفي أوساط الحكومة السورية والحلفاء والأصدقاء، لكن أحداً ما كان يتوقع مثل هذا الفرح في الأوساط العالمية، قادة كبار يتبادلون التهاني ويباركون للحكومة والجيش السوريين هذا الإنجاز الكبير، وتتسارع الخطى نحو عاصمة زنوبيا لتتثبت من جديد أهميتها التاريخية وموقعها الذي ما زال ماثلاً بعد مئات القرون من روما حتى اليوم يفرض نفسه.

تدمر بوابة سورية الشرقية تلفظ من بين جنباتها أكثر المتخلّفين في التاريخ الحديث وحشية بعد أشهر عشرة، لكنهم تركوا أحياءها وشوارعها الجميلة ممزقة، وحوانيتها الأثرية مخلّعة الأبواب والدعائم، مطاعمها وفنادقها أقرب إلى الخراب، الأهمّ أنّ المتوحّشين زرعوا شوارعها وثناياها بأحدث الألغام والمتفجّرات ويبذل الجيش الذي افتداها بمئات الشهداء أقصى الجهود لتنظيفها قبل أن يسمح لأهلها بالعودة، وهم التواقون المتوثبون وأغلبهم يقول يكفينا أن نجد الجدران... سنعيدها أجمل ولن نتردّد في العودة فلا بديل لنخيلها وزيتونها وحياتنا مرتبطة بوجودها...

الحدث على أهميته لا يتجاوز من حيث القيمة الفعلية تحرير أيّ من المدن الأخرى، الرقة مثلاً أو فك الحصار عن دير الزور وتحرير بلدات ريفها، لكن من ينظر إلى الخريطة يدرك معنى تحرير نقطة الارتكاز الاستراتيجي التي تتحكم بكافة المحاور، سواء باتجاه الشرق إلى الرمادي أو الشمال الشرقي نحو البوكمال أو باتجاه الجنوب إلى ريف السويداء ومثلث الحدود الأردنية السعودية العراقية، من يسيطر على تدمر يتحكم بكلّ هذه الممرات ويفرض قطيعة وحصاراً على المناطق الأخرى المذكورة فيمنع عنها الإمداد الآتي من الجنوب أو الشرق، وهذه الميزة لم تفارق تدمر منذ العصر القديم وحتى اللحظة رغم تطوّر وسائل النقل واختلافها.

على صعيد الاستراتيجيا الداخلية، يثبت الجيش السوري وحلفاؤه أنّ يده هي العليا وأنه الوحيد القادر على محاربة الإرهاب وهزيمته رغم استمرار بعض الدول ومنها تركيا والسعودية بإمداد العصابات الإجرامية بما تحتاج، ما يهمّنا هو رهان البعض على استمرار سيطرة «داعش» وأخواتها على مساحات واسعة من الأرض السورية واستثمار هذه الورقة في محادثات جنيف على أنّ الدولة السورية لا تسيطر على الجزء الأكبر من أراضيها وكأنهم هم من يسيطر عليها في الوقت الذي لا يجرؤ أيّ من أركان المعارضات الخارجية على دخول الأراضي السورية التي تقع تحت سيطرة أيّ من التنظيمات، حتى ما يسمّى «الجيش الحرّ»، لأنهم مرفوضون أصلاً من كلّ التنظيمات ولانكشافهم أمامها على أنهم يتاجرون بها وأنهم مجرد باحثون عن مواقع ومراكز ومناصب وهم غير معنيين بمعاناة أحد من أبناء الشعب السوري الذي يدّعون تمثيله والنطق باسمه.

هزيمة «داعش» في تدمر، وقريباً في القريتين وفي كلّ المواقع الممتدّة من تدمر إلى دير الزور على الطريق الدولية شكلت هزيمة في الصميم لمشاريع الدولتين المعتديتين، السعودية وتركيا ورهانهما على تمدّد «داعش» على الأرض السورية، وأيضاً هي خيبة أمل للمعارضات الخارجية بعد أن فقدت دعم وتأييد الكثير من دول العالم واكتشف الغرب سطحيتها وضحالتها وانعدام تأثيرها على الداخل السوري، وبقي لها أن تلعب آخر أوراقها لكن خطواتها المقبلة محكومة بايقاع الجيش في تدمر وما بعد تدمر، ما يعطي لرئيس الوفد السوري المفاوض قوة نبرته، وثبات مواقفه، وأحقية تساؤلاته التي لم يستطع الإجابة عنها الموفد الدولي دي ميستورا حتى اللحظة، ومن المؤكد صعوبة وصول المعارضات ليكون لها وفد موحد يمكنه الحوار مع الوفد الحكومي السوري، وربما استحالة ذلك.

القراءة الخاطئة للمعارضات الخارجية للخطوة الروسية (سحب جزء كبير من قواتها) أوحت ببعض تفاؤل في أوساطها وبدأ الرهان على وقف الهجوم السوري، وربما توقع بعضهم تغيّرات دراماتيكية على هذا الصعيد، لم يتمكّن هؤلاء من فهم المغزى لهذا التحرك، لا في بدايته التي جاءت رسالة واضحة وقوية لحلف الناتو بعد المحاولة التركية لجرّه إلى الصدام مع القوات الروسية، ولا عند سحب القوات غير الضرورية للمعركة داخل سورية بعد أن تبلورت مواقف الغرب، والتفاهم الأميركي الروسي وإبلاغ تركيا بالموقف الفعلي للناتو في حال استمرارها بفتح الحدود، لدعم العصابات وعلى رأسها «داعش»، والتحرش بالقوات الروسية، بعض التنظيمات العسكرية في الداخل قرأت على نفس المنوال فأعلنت عدم التزامها بالهدنة إلى أن تلقت ضربات قاصمة فانصاعت، وبعضها هام ملتجئاً إلى «داعش» أو «النصرة»، الهدنة أدّت إلى أكثر من الفوضى داخل التنظيمات، ودفعت بالمدنيين في تلك المناطق إلى ممارسة ضغوط والقيام بتظاهرات تطالب بالتزام الهدنة وايجاد حلول للوضع العام المزري في تلك المناطق، وتخللت ذلك صدامات دموية في الوقت الذي تتزايد معه صلابة موقف بقية المناطق التي استعادت أمنها وسيرورة الحياة الطبيعية فيها، وستتوّج ذلك بإجراء الانتخابات النيابية للتأكيد على استمرارية الحياة الطبيعية وتمسك السوريين بقرارهم السيادي وتطبيق الدستور الذي توافقوا عليه، ورفض أية املاءات خارجية.

المراقب المتابع يقرأ جيداً استراتيجية الجيش وتطبيقه أحدث الخطط العسكرية على مساحة واسعة مستفيداً من طبيعة الأرض، والدعم الجوي لتقسيم منطقة تواجد العدو إلى جزر يطوّقها ويتحكّم بطرق مواصلاتها ويمنع إمدادها لوجستياً، عملية الحصار تتكفّل باستنزاف المجموعات المحاصرة ودفعها إلى الانهيار والهزيمة النفسية قبل العسكرية، ومع أنّ وحدات العدو بالأساس تقاتل حتى الموت إلا أنّ الهزيمة الداخلية نفسياً تدفع بها إلى ارتكاب الأخطاء القاتلة وخلخلة صفوفها والبحث عن مخارج لتنظيم تلك الصفوف أو تأمين منافذ الإمداد اللوجستي فتخرج من من جحورها وتحصيناتها لتقع في الفخ وتكون الهزيمة.

بعد تدمر... القريتين جزيرة كبيرة إلى حدّ ما، منافذها الرئيسة أصبحت مغلقة، وإمدادها لوجستيا أمر في غاية الصعوبة مع الرقابة الجوية المشدّدة، والطريق الرئيس للإمداد هو المحور الممتدّ شرقاً باتجاه تقاطع طريق دمشق – تدمر... السبع بيار، وبالتالي يتأكد أنّ الإمداد سيكون من السعودية عبر الأردن أو بادية جنوب الأنبار... ما يحرج السعودية والأردن وهما يعلنان أنهما مع تحالف الغرب ضدّ «داعش»، وهذا الغرب يدرك اليوم ويعلن أنّ «داعش» هي السعودية والسعودية هي «داعش»، ولا ثقة للغرب بما تقوله السعودية، فعائلة بني سعود طبقاً لكتاب الحاخام بن زفي بعقيدتهم الوهابية هم فصيل يهودي مثلهم مثل السامريين، يمارسون طقوسهم اليهودية سراً رغم إعلانهم أنهم حماة الحرمين الشريفين، وبالتالي هم في خدمة المشروع الصهيو – ماسوني منذ تأسيسه حتى اللحظة... حقيقة يجب أن يدركها أبناء نجد والحجاز وأن يتصرّفوا على هذا الأساس للتخلص منهم وتحرير بلادهم من رجس هؤلاء.

«إسرائيل» وتوظيف الآخرين

■ رامز مصطفى

عندما يُقال إنّ الكيان «الإسرائيلي» على الدوام إما هو من يقف وراء الكثير من الأحداث الإقليمية وبعض الدولية، أو هو يوظفها ليكون المستفيد من ورائها، على الفور يخرج علينا من يُكيل الاتهامات من كلّ حدب وصوب قائلاً: «نظرية المؤامرة ليست سوى وهم تُعشش في رأس مطلقيها وأصحابها في تحميل المسؤولية لإسرائيل ومن خلفها الولايات المتحدة الأميركية». هذه الهرطقة التي تتطوّر سريعاً لتنتقل من وجهة نظر إلى قناعات وربما ثقافة، ما هي إلاّ محاولة بائسة من هؤلاء، الذين ازدادت أعدادهم ليتحوّلوا إلى جيش خلال سنوات حروب المنطقة الخمسة الأخيرة، وذلك بسبب ضعف المناعة الوطنية والقومية لديهم، والذين باتوا يجدون في الكيان «الإسرائيلي» مكوّناً «طبيعياً» في المنطقة، يجب طيّ صفحة العداء معه. بل هناك مساحة واسعة للتعاون معه في مواجهة أخطار أعداء يتلاقون عندهم، في تبديل فاضح لعناوين الصراع في المنطقة، والشواهد هذه الأيام كثيرة لا تحصى، وباتت في وضح النهار وتحت شمسه، ومن فوق الطاولة لا من تحتها. ومن دون الاسترسال في الشروح لتلك الشواهد التي في مقدور من يودّ تبصّرها أن يتوصّل إليها من دون عناء، لأنّ أصحابها لم يعودوا في حاجة لإخفائها أو التكتم عليها.

وليس آخر الفوائد التي يجنيها الكيان «الإسرائيلي» على حساب مصائب الآخرين، هو تمكّنه من استجلاب أعداد من اليهود اليمنيين على وقع العدوان الذي تقوده السعودية وحلفاؤها ضدّ اليمن منذ عام، لم تبق ولم تذر بحق البشر والشجر والحجر على أرض اليمن، الذي يزيدون من تعاسته ومأساته وحرمانه. فقد أشارت الصحافة العبرية إلى نجاح الجهود «الإسرائيلية»، وبعملية غاية في السرية من إيصال مجموعة من اليهود إلى الكيان وعلى رأسهم الحاخام سليمان داهري وبرفقته زوجته وولديه، جالباً معه كتاب توراة قديم، قارب عمره على الـ800 عام مكتوب على جلود حيوان، وهو أيّ الحاخام داهري لطالما حلم أن يُحضره معه إلى «إسرائيل». وهذه ليست العملية الأولى، بل سبقها العديد من العمليات كان آخرها في العام 2013، وأيضاً من خلال دولة إقليمية.

وأقرّت صحيفة «معاريف» العبرية بأنّ هذا النجاح ما كان ليتحقق لولا تضافر الجهود الدولية والإقليمية و«الإسرائيلية»، وبما فيها الفلسطينية في إتمام العملية، وهنا بيت القصيد وما يعنينا منه هو مساهمة الجانب الإقليمي والفلسطيني في تلك العملية، لأنّ الجانب الدولي معلوم، وهي الولايات المتحدة الأميركية، وهذا لا يشكل مفاجأة، على الرغم من إدانتنا لها. الجانب الإقليمي المتورّط في تلك العملية، من المؤكد أنه فاعل في الميدان اليمني، وهو من يتملك إمكانية الحركة، ويدفع بكلّ قدراته وإمكانية العسكرية من أجل كسر إرادة الأشقاء اليمنيّين لصالح إبقائه محروما وبائساً. هذا الطرف الإقليمي قد لا تكون دولة بعينها بل مجموعة دول إقليمية ولكن من الواضح أنها فاعلة ومؤثرة، وتستطيع التحرك بأريحية وهي تحاصر اليمن في الجو والبحر. وقد أماطت اللثام منذ الحرب على اليمن عن مجموعة من الخطوات في مجال التعاون وزيادة وتيرة التطبيع السياسي والاقتصادي وحتى الأمني، وليس آخرها لقاءات وتصريحات قادة سعوديين، أو ما صرّح به قائد شرطة الإمارات السابق ضاحي خلفان، الذي دعا إلى عدم قيام دولة فلسطينية، وضمّ «إسرائيل» إلى الجامعة العربية. وهذا ما تؤكده صحيفة «معاريف» العبرية، التي أوردت أنّ السعودية قد قدّمت التسهيلات المطلوبة لإنجاح عملية تهريب هذه المجموعة، التي استمرّت قرابة العام ورافقهم خلالها عدد من «الإسرائيليين» من الواضح أنهم من جهاز الموساد لتأمين حمايتهم.

وفي السياق اعترفت مصادر أردنية بانتقال هؤلاء اليهود عبر الأردن، ولكنها عمدت إلى التقليل من وقع عملية تهريب هؤلاء اليهود في قولها: «عملية ترحيل 17 يمنياً يهودياً تمّت عبر رحلة جوية حطت في مطار عمّان الدولي، وجرى نقلهم من هناك الى داخل إسرائيل»، مضيفة تلك المصادر إنّ «جوازات السفر تعطى بناء على جنسيات الأشخاص وليس ديانتهم»، أيّ أنّ السلطات الأردنية تعاملت مع هؤلاء كمواطنين يمنيين بغضّ النظر عن ديانتهم.

وتأتي الرسالة التي وجهها السفير الفلسطيني السابق، إلى رئيس السلطة الفلسطينية، والتي يتهم فيها مباشرة جهاز المخابرات الفلسطينية، بتقديم الخدمات والتسهيلات الضرورية للكيان «الإسرائيلي»، عبر المساعدة في استجلاب اليهود اليمنيين الذين كشفت عن وصولهم صحيفة «معاريف»، لتكشف مدى تورّط الأجهزة الأمنية التابعة للسلطة الفلسطينية، وتمثل الصدمة الكبيرة لجمهور الانتفاضة وسائر الجموع الفلسطينية. وكان السفير أبو الخير قد نشر فحوى رسالته على صفحة التواصل الاجتماعي الخاصة به يوم الثاني والعشرين من آذار الحالي. ويعدّ الكشف عن الرسالة فضيحة سياسية كبرى ستترك من التداعيات الشيء الكثير على الساحة الوطنية الفلسطينية في حال أنّ الرسالة فعلاً قد وصلت إلى رئيس السلطة، وصحّ ما فيها من معلومات، لم تخل من توجيه السفير أبو الخير اتهامه حتى إلى رئيس السلطة الفلسطينية السيد محمود عباس ورئيس المخابرات الفلسطينية اللواء ماجد فرج. وأورد السفير خير الدين عبد الرحمن في رسالته جزءاً من تصريح رئيس مجلس محافظي الوكالة اليهودية قال فيه: «الرئيس الفلسطيني محمود عباس قد أظهر مدى شجاعته ولم يتوان عن تلبية طلب الوكالة بتقديم المساعدة، وذلك من خلال أوامره لضباط مخابراته العاملين في اليمن والطلب منهم بتقديم أقصى ما يمكنهم لإنجاح عملية إنقاذ هؤلاء اليهود اليمنيين من ويلات الحرب الأهلية هناك، حيث قدّموا دعماً استخبارياً ولوجستياً لانجاح العملية».

وختم أبو الخير رسالته بالقول: «إنّ ذلك يشكل خرقاً خطيراً، وتجاوزاً للمحرّمات الوطنية والدينية والأخلاقية تجاه شعبنا. وإنّ الإسهام في استجلاب مزيد من الغزاة لتعزيز اغتصاب وطننا انحراف بالغ الخطورة يستدعي التحقيق والمساءلة، ولا بدّ منهما ذات يوم».

هل ستكون فكرة التقسيم بالتراضي دون إراقة الدماء
الاحتمال الأمثل لمستقبل سورية وحلّ النزاع في الشام والعراق؟

■ جودي يعقوب

هناك حقائق تاريخية يصعب طمسها أو فرضها بالقوة، فلو أخذنا نظرة عامة، ولكن ثاقبة لتاريخ الشعب الكردي لوجدنا أنه تاريخ بسيط وسهل، ولو أردنا أن نقوم ببحث تاريخي علمي عنه، لما تطلب ذلك أكثر من بضع صفحات، حيث اتفق أغلب الباحثين على انتماء الأكراد إلى المجموعة الهندوأوروبية. فالأكراد شعب من الشعوب الإيرانية ومناطق وجودهم الأصلية هي في أصفهان وأذربيجان، كما يعتقد الأكراد أنهم ميديون وأنّ أمبراطوريتهم القديمة كان سمها ميديا. وكانت امبراطورية ميديا في فارس قد غزت العراق ودمرت نينوى وخرجت منها، لكنها لم تصل إلى الشام أبداً، وقد عاش الأكراد في كنف الإمبراطورية الفارسية كرعايا، و أثناء الفتوحات الإسلامية في فارس في عهد الفاروق عمر بدأت علاقتهم بالإسلام، خاصة عندما توالت الانتصارات الإسلامية على القوات الفارسية في معارك القادسية وجلولاء ونهوند (فتح الفتوح)، وكان من نتائجها أن حدث احتكاك بين المسلمين الفاتحين وبين الأكراد، لا سيما بعد أن حرّرهم المسلمون من الأكاسرة الذين دمروا آخر ممالك إمبراطورية ميديا في عهد كسرى كورش الذي كان قد استعبدهم، لذلك فرّ الأكراد المسلمون بدينهم وأرواحهم إلى تركيا من بطش المغول والصفويين وعاشو في كنف السلاجقة، أي أنّ معظم أكراد سورية وافدون من خلف الحدود السورية ـ التركية. وفي زمن الاحتلال الفرنسي للشام عام 1925، قامت ثورة كردية بقيادة سعيد بيران في تركيا ضدّ حكم كمال أتاتورك الذي عمد إلى قمعها وتهجير كثير من الأكراد إلى سورية، حيث سكنوا على حدود تركيا وقامت فرنسا بمنحهم الجنسية السورية، ولم يتعامل السوريون حينها بعنصرية تجاههم بل استقبلوهم كإخوة فارين من الموت، فسورية ليست بلادهم الأصلية إنما حصلوا على الإقامة والجنسية والمواطنة الكاملة حالهم حال الأرمن والشركس الذين قدموا إليها أيضاً، كلاجئين منذ حوالى 100 سنة.

وتنتمي اللغة الكردية إلى مجموعة اللغات الإيرانية التي تمثل فرعاً من أسرة اللغات الهندوأوربية وهي التي تضمّ اللغات الكردية والفارسية والأفغانية والطاجيكية، لأنّ الأكراد لم تكن لديهم حروف مكتوبة، بل لغة يتكلمونها فقط، لذلك مال أكراد العراق وإيران إلى اللغة العربية، وبدأوا يستخدمون الأبجدية العربية في كتابة لغتهم، وبدأوا تعلم الحروف العربية، وأخذوها ليكتبوا بها لغتهم وليحموا تراثهم، بينما ظلّ أكراد تركيا وسورية يستعملون الأبجدية اللاتينية، أما أكراد الاتحاد السوفياتي فكانوا يستعلمون الأبجدية الروسية، وهذه صفة أخرى من صفات المجتمع البدائي البسيط.

وحتى يومنا هذا، لم يصل إلى علمنا وجود أي معلم من المعالم الحضارية للشعب الكردي، وذلك إلى ما قبل وصول الإسلام إلى المنطقة، فالشعب الكردي شعب بسيط وبدائي بكل ما في الكلمة من معنى، وهذا ينطبق على تعاملاته وتراثه وتاريخه وثقافته، حاله كحال كلّ الشعوب البسيطة، عكس ما يمكن أن يقال عن الشعوب المتحضرة والمؤثرة ببقية العالم المحيط بها والقوميات الأخرى، فليس لدى الشعب الكردي ما يقدمه للشعوب الأخرى.

لم يكن هناك في زمن من الأزمان شيء اسمه الحضارة الكردية، أما الدولة الأيوبية فهي لم تكن دولة كردية بل إسلامية، لكنّ قادتها ومؤسسيها كانوا من الأكراد وظلوا يتمثلون بروح الإسلام، وليس باسم قوميتهم الكردية، وكان لهم إسهام بارز في الفتوحات كما أنهم أصبحوا جنوداً للخلافة الإسلامية في عصورها شتّى، وأصبحوا سنداً ومُدافعاً أميناً عن الثغور الإسلامية في وجه الروس والبيزنطيين وحلفائهم من الأرمن والكرج (الجورجيين)، أما دورهم في مقاومة الصليبيين والباطنيين تحت قيادة الناصر صلاح الدين الأيوبي فأشهر من أن تُعرَّف، وفي العصور العباسية كان لهم دور مشهود في الدفاع عن حياض الخلافة، ورغم هذا كله لم نسمع أو نجد أي أثر يمكن لنا أن نقول إنه تراث حضاري كردي خالص، واستمرّ هذا الحال إلى يومنا هذا. وللأمانة العلمية الدقيقة ليس هناك أي إثبات علمي بأنّ الأكراد كانوا أصحاب حضارة وعلم وتراث، فكلّ هذا غير وارد تاريخياً، فليست لديهم طريقة شعرية متميزة ولا طرازاً معمارياً متميزاً ولا لغة متكاملة ولا تراثاً شعبياً.

لذلك، فإنّ مطامع بعض القوى والشخصيات الكردية بربط المناطق ذات الأغلبية الكردية في شمال الكيان الشامي أو باقي الكيانات في سورية أمر غير واقعي، فدعوة أحد الأحزاب الكردية لاستحداث محافظة في قضاء القامشلي غير مبررة، فمدينة القامشلي كانت حتى عام 1920 قرية سريانية أسمها «زلو» وتعني أرض الزلّ بالسريانية ولم يكن فيها أكراد حينها. أما مدينة عين العرب الذي يفضل الأكراد أن يطلقوا عليها اسم كوباني، فلا وجود تاريخياً لها وهي مدينة حديثة العهد نسبياً نشأت عام 1892 مع مشروع خط سكة حديد بغداد بين عامي 1911 و1912 م وبدأت حينها تتحول إلى تجمُّع سكاني، وأول من سكنها لاجئون أرمن عام 1912 ثم لاجئون أكراد عام 1925 بعد ثورة سعيد بيران في تركيا. أما التمدُّد إلى البحر المتوسط الذي يحلم به هؤلاء الذين يُسمّون أنفسهم قادة الشعب الكردي فهو ضرب من ضروب الخيال، فسورية لن تسمح بانتشار وباء كانتونات الإدارات الذاتية شبه المستقلة، والتي ستخلق وبكلّ تأكيد، مشكلات كبيرة في المستقبل، فاليوم يقيمون محافظة وغداً حكماً ذاتياً ولاحقاً يطالبون بحقّ تقرير المصير، كما جرى ويجري في الكيان العراقي الذي أعلن مسعود البرزاني حكماً ذاتياً شماله يسمى إقليم كردستان، ثم بدأ يخطط للانفصال بالإقليم وأراضي أخرى عن جسد الكيان العراقي، من خلال دعوته البرلمان إلى تنظيم استفتاء حول مستقبل هذا الإقليم، متجاهلاً أنه لا يحقّ للأكراد أن يقرّروا بصورة أحادية مسائل فدرلة أي كيان.

إقليم كردستان وما تحمله هذه التسمية من عنصرية بغيضة، خاصة أنّ هذه التسمية تلغي الوجود الفعلي للكثير من القوميات المتواجدة فيه من سريان وأشوريين ويزيديين وكلدان وعرب وتركمان وغيرهم.

وبجميع الأحوال الأكراد أقلية، هذا إن أرادوا أن نعتبرهم أقلية وليس سوريين، وقد رفضوا فكرة الاندماج في المجتمع السوري، واختاروا أن يكونوا أكراداً لا مواطنيين سوريين، ويجب على الأقلية أن تحترم قوانين وعادات وتقاليد وأنظمة الدولة التي تعيش فيها، إذ لا يحقّ لها فرض قوانينها على بقية المكونات من أبناء الدولة التي احتضنتها، ولا يحقّ لها أيضاً تشكيل ميليشيات خاصة بها ومحاربة وتهجير أبناء المنطقة ولا عقد اتفاقيات وتحالفات مع دول أجنبية، خصوصاً إذا كانت ضدّ أبناء الدولة الراعية لتلك الأقلية. فمصطلح القضية الكردية هو في أصله استفزازي لأنه يميز عرقاً لا يعدو كونه أقلية، بميزات خاصة.

تبدو «إسرائيل» الأكثر حماساً لقيام دولة كردية في المنطقة لتبرّر وجودها هي الأخرى فيها، لأنّ هذا يعتبر وجهاً آخر من أوجه الشبه مع الكيان الصهيوني الذي أنشأ دولة عنصرية قائمة على التمييز العنصري من اسمها إلى أفعالها، وسيعملون على جعل الشعب الكردي كاليهود في فلسطين، إذ سبق وأن أعلن قادة صهاينة دعمهم لإقامة هذه الدولة، بل هناك حديث عن ضغط «إسرائيلي» وجهد من اللوبي الصهيوني في الولايات المتحدة للدفع بالأمور نحو هذا الاتجاه، وكما هو معروف فإنّ العلاقات الكردية ـ الصهيونية تمتد إلى ستينات القرن الماضي، عندما زار الملاّ مصطفى البرازاني الكيان الصهيوني في نيسان عام 1968، وكان أول من طرح انفصال ما يسمى إقليم كردستان عن العراق، واجتمع مع القادة الصهاينة آنذاك، وخاصة مع القيادات العسكرية والأمنية، وقدموا له النصائح بالانفصال وتأسيس دول مستقلة. بقيت الزيارة سرية إلى أن تطرقت لها كتب كثيرة، لعلّ أبرزها كتاب اليعازر تسافرير الذي تولى رئاسة الموساد في شمال الكيان العراقي في أوائل السبعينيات، وكتاب الصحافي «الإسرائيلي» شلومو نكديمون بعنوان «الموساد في العراق ودول الجوار»، وفي عام 1982 سرّبت أجهزة الاستخبارات «الإسرائيلية» دراسات عن ضرورة بلقنة المنطقة وتقسيمها على أساس عرقي وطائفي، وكانت سورية، بحكم تركيبتها السكانية النموذج المطروح للتطبيق، وذلك حتى تتفرد «إسرائيل» بقيادة المنطقة والهيمنة على مقدراتها، بعد أن تغرق دولها في أتون الحروب الداخلية، بحسب محللين، وأخيراً عادت الدراسات «الإسرائيلية» لتكشف عن مخطط تقسيم سورية، فكعكة تقسيم المنطقة لم تعد مجرد مخططات صهيو-أميركية خفية، أو مجرد خرائط أو تنظيراً فلسفياً يستهدف الأمة السورية، بل باتت واقعاً ملموساً وظاهراً للعيان محدّد الأطراف والضحايا والمستفيدين، ويشهد نقلات نوعية متصاعدة لتفتيت المفتت وتجزئة المجزأ، والجديد أنّ سيناريوات التفتيت لم تعد في أيدي الدول المستعمرة والدول الكبرى والمتواطئين معها، لكنها تتم من خلال مؤسسات الدولة التي كان من المفترض أن تحافظ على وحدتها وسيادتها واستقلالها، بحسب مراقبين.

اليوم ومع تداعيات ما يسمى ثورات الربيع العربي والحروب والتطورات الدراماتيكية التي تشهدها المنطقة، ثمة قناعة كردية باتت تترسخ يوماً بعد آخر بأنهم باتوا أمام فرصة تاريخية قد لا تتكرّر لتحقيق حلمهم القديم الجديد، حلم إقامة دولة كردية قومية تجمع الكرد المتوزعين بين العراق وإيران وتركيا وسورية. حلم قديم رافق الأكراد منذ رسم الخرائط السياسية في المنطقة بعد الحرب العالمية الأولى، وظلّ هذا الحلم يدغدغ الوجدان الكردي كلما رأى الكرد أنّ الظروف والمتغيرات الإقليمية مناسبة، مع قناعة بأنّ هذا الحلم يصطدم بجدار الدول المذكورة لأنه يمسّ حدودها وجغرافيتها وسيادتها.

وإذا كان الأكراد يتساءلون إلى متى سيبقون من دون كيان قومي يجمعهم، فنحن نقول لهم عودوا إلى وطنكم الأم، فالوطن هو الأساس وافعلوا هناك ما يحلو لكم، فلا قومية من دون أمة ولا أمة من دون وطن، فسورية لن تقبل بأي مشروع يقع خارج هذا السياق، سورية هي وطننا وهي التي احتضنتنا وجبلتنا ومزجت أصولنا العرقية والسلالية وأكسبتنا هويتنا وشخصيتنا وفيها تجري حياتنا بكلّ مصالحها المادية والروحية، وإنّ إعطاء كامل الحقوق للأقليات الإثنية على اختلاف قومياتهم وأديانهم ومذاهبهم، بما يضمن المساواة والعدالة لكافة المواطنين، لا ينبغي أن يكون على حساب وحدة أراضي هذه الدولة، خاصة أنّ هذه الخطوة هي خطوة انتهازية سياسية بامتياز في أقلّ وصف لها، واستغلال لظرف صعب تمرّ به سورية، وفي ظلّ هجمة كبيرة تتعرض لها من أطراف محلية ومناطقية وإقليمية ودولية تسعى إلى تفتيت وحدتها، وتحظى بمباركة «إسرائيل» لجميع التحركات التي تسعى إلى إنهاك حزب الله في معاركها بما يشغله عن ضرب أو تهديد «إسرائيل»، كما تسعى إلى إنهاك العراق وتدمير جيشه العراقي والجيش الشامي النظاميين بما يخدم الكيان الغاصب ويضمن له التفوق العسكري، وذلك بعد أن قامت بتحويل الكرد خلال العقدين الماضيين من ورقة إقليمية في يد هذا الطرف أو ذاك إلى لاعب إقليمي، بعد التحول الحاصل في المواقف الإقليمية من مسألة الاعتراف بالكيان الكردي. فإذا استطاع القوميون المتطرفون الأكراد فرض مشروعهم التقسيمي على سورية بمساعدة تلك الظروف ودعم الأميركيين وصمت الأتراك ولو على مضض بعد عقود من سياسة الإنكار والعداء، خاصة إذا اعتبرت أنّ هذه الدولة ستساهم في إيجاد حلّ لمشكلتها الكردية في الداخل، وسيسعون على العمل ليكون لهم ذلك، لكنّ هذا الجزء من الأراضي السورية سيشبه الاسكندرون وحتى الجولان، لأنّ إقامة دولة كردية ستغير من جغرافية المنطقة، وهو تحول لا يمكن التعويل عليه لأنه سيفتح الباب أمام حروب جديدة في المنطقة ستجعل المتطرفين يدفعون الثمن غالياً.

لذا يجب علينا أن نخيّر جميع الكرد، بين أن يكونوا كرداً أو أن يكونوا سوريين، وهذا بالتأكيد خيار صعب وغير جائز يشبه أن تخيّر العربي بين أن يكون عربياً أو أن يكون سورياً، لأنه، وبحسب الزعيم أنطون سعادة، «إن في سورية عناصر وهجرات كبيرة متجانسة مع المزيج السوري الأصلي، يمكن أن تهضمها الأمة إذا مرّ عليها الزمن الكافي لذلك، ويمكن أن تذوب فيها وتزول عصبيتها الخاصة، وفيها هجرة كبيرة لا يمكن بوجه من الوجوه أن تتفق مع مبدأ القومية السورية هي الهجرة اليهودية. إنها هجرة خطرة لا يمكن أن تهضم لأنها هجرة شعب اختلط مع شعوب كثيرة فهو خليط متنافر خطر وله عقائد جامدة وأهدافه تتضارب مع حقيقة الأمة السورية وحقوقها وسيادتها ومع المثل العليا السورية تضارباً جوهرياً، وعلى السوريين القوميين أن يدفعوا هذه الهجرة بكلّ قوتهم». (من شرح الزعيم للمبدأ الأساسي الرابع).

«كل أمة تريد أن تحيا حياة حرة مستقلة تبلغ فيها مثلها العليا يجب أن تكون ذات وحدة روحية متينة، والوحدة الروحية المتينة لا يمكن أن تنشأ في حال انعزال كلّ جماعة من جماعات الأمة الدينية ضمن نطاق اجتماعي ـ حقوقي انعزالاً يجعل منها نفسية وعقلية مستقلتين عن نفسيات وعقليات الجماعات الأخرى لئلا ينشأ من ذلك اختلاف في الأغراض والأهداف». (من شرح الزعيم للمبدأ الإصلاحي الثالث).

وبناء عليه، فإننا لا نعتبر الأكراد أقلية بل هم جزءاً لا يتجزأ من الشعب السوري، فهم مواطنون سوريون في سورية، لأنّ السوريين هم مزيج سلالي من أصول عرقية عديدة جاءت من الجنوب والشرق والشمال والغرب ونزلت في سورية واستوطنتها والتقت مع السوريين في سورية الذين ما عرفوا وطن آخر غيرها فتفاعل الجميع وتمازجوا وكوّنوا الشعب السوري الحالي، وفق ناموس التطور الاجتماعي الذي يقول إنّ المجتمع يهضم الجماعات الوافدة إليه والتي تنخرط وتشترك في دورة حياته إذا مرّ عليها الزمن الكافي لذلك، ما يعني أنّ العرب الذين جاءوا إلى سورية واستوطنوها وانخرطوا في دورة حياتها قد امتزجوا مع باقي السوريين، وأصبحوا سوريين هم أيضاً.

سورية هي توأم التاريخ والحضارة والمدنية في العالم، فالسوريون ليسوا عرباً جاءوا إليها، وكأنّها كانت مساحة خالية ليس فيها إلا من أتاها من خارجها، لذا فإنّ وجود الكرد وغير الكرد على الأرض السورية لا يشكل أي معضلة، وأنّ من الحقّ بل من الواجب اعتبارهم سوريين كإخوانهم العرب السوريين الآخرين، لأنّ في سورية سوريون فقط، والعرب والأرمن والأكراد والشركس وغيرهم الذين قدموا إلى سورية عبر التاريخ قد اندمجوا فيها وأصبحوا سوريين، وإنّ السوريين اليوم لا يمكن فرزهم مجدداً إلى أصولهم العرقية، فالأصول العرقية اختفت في المزيج السوري منذ زمن. لكنّ أي طروحات تسعى إلى تحويل سورية إلى دولة فيدرالية اتحادية، ما هي إلا مقدمة لتقسيمها، لأنّ طرح موضوع الاتحاد أو الفيدرالية سيشكل مساساً بوحدة الأراضي السورية ويصادر إرادة الشعب السوري، لأنّ تحديد شكل الدولة السورية أمر لا يمكن أن يجري على يد فصيل واحد أو جزء من الشعب بمفرده الأمر الذي يتناقض مع الدستور والمفاهيم الوطنية والقرارات الدولية، وطالما أنه لا يعبر عن إرادة كامل الشعب السوري بكلّ اتجاهاته السياسية وشرائحه المتمسكين جميعاً بوحدة بلادهم أرضاً وشعباً، فلا أساس قانونياً لإعلانه.

وفي الأصل، ليس في سورية عدة قوميات واحدة عربية وأخرى كردية، لأنّ في سورية وطنية واحدة هي الوطنية السورية وفيها قومية واحدة هي القومية السورية، فإما أن تكونوا في سورية سوريين متساوين في الحقّ بالسيادة، أو أن تختاروا أن تكونوا فقط كرداً منتمين إلى قوميتكم الكردية ولا تريدون الجنسية السورية، وإذا كنتم تطمحون إلى إنشاء دولة باسم كردستان داخل سورية فلن نكون معكم، بل إننا عندها سنكون في مواجهة بعضنا البعض، لأنّ أي محاولة لتشكيل كيانات أو مناطق أو إدارات تصادر إرادة الشعب وتسعى إلى تغيير جغرافية المنطقة لن نقبل بها، فنحن السوريون لن نسمح بتمرير سايكس ـ بيكو جديد في المنطقة وسنقف بكلّ قوتنا في وجه هذا المخطط الاستعماري، ولكم حرية الاختيار، لأنّ قوة المنطق ستنتصر والتاريخ خير شاهد على ذلك.